إصحاح ١٢: ١- ٣٣).
ويذكر سفر الملوك (إصحاح ١٤: ٢٢- ٢٤) أن قوم رحبعام بمملكة يهوذا أيضا قد أقاموا التماثيل والأنصاب ، وانتشر بينهم العهر والشذوذ الجنسي..
- وأصبح لمملكة الشمال قبلتها ومكانها المقدس البديل الخاص بها (جبل جروزيم بالسامرة)!! .>

مملكة إسرائيل ٩٣١ - ٧٢١ق.م

(إصحاحات الملوك الأول والثاني):

مات يربعام عام ٩٠١ ق.م بعد سيرة فاسقة كما يذكر الكتاب المقدس عصا فيها الأنبياء، وأضل فيها قومه، وأحيا خلالها عبادة الأصنام، ثمّ انتقل الحكم بعده إلى ابنه ناداب الذي فسق كوالده، وسرعان ما قتله مع كل أبناء يربعام أحد قواده وهو بعشا (٩٠٠- ٨٧٧ ق.م) الذي تحالف مع الكوشيين على الحرب ضد يهوذا، وكان كذلك شريرا، ثم حكم ابنه بعده أسبوعا، ليُقتل مع كل أهله على يد قائده زمري، فيقضي على زمري قائد آخر هو عُمري.. ليحكم عُمري هذا ١٢عاما بسياسة اهتم فيها بالتنظيم المدني ولكن بعيدا عن الدين، فما ذُكر إلا بالشرّ..

ثم حكم ابنه آخاب (٨٧٤- ٨٥٣ ق.م) لاثنين وعشرين سنة فكان أشرّ

من أبيه ومن كل من سبقه... وتزوج من ايزابل ابنة ملك صيدا.. فعبد آخاب معها **البعل** وسجد له، وشيد له مذبحا وأقام له أصناما ومعبدا بالسامرة... وقتل مدفوعا بزوجته إيزابل أنبياءَ الله.. وحدث أن أصيبت إسرائيل عقوبةً من الله بجفاف ومجاعة شديدة أجبرت آخاب أن يسمع للنبي إيليا (إلياس) الذي لن تتمكن إيزابل من قتله كبقية الأنبياء.. وطلب إيليا من آخاب أن يجمع الناس ليشهدوا أيّ قربان سيتقبله معبوده (الله عزوجل أم البعل)، فيُقرّب ايليا قربانا لله، ويقرب آخاب قربانا للبعل (الصنم).. فأيّ القربانين تنزل عليه نار من السماء لتحرقه فهو القربان المقبول من الإله الذي يستحق العبادة.. وكان أن تمت المعجزة لإيليا وحده، " وخرّوا _ أي جموع الناس_ ساجدين على وجوههم إلى الأرض هاتفين :" الرب هو الله ! الرب هو الله !"، واستجابت جموع الناس لإيليا بجمع عباد البعل ثم ذبحهم جميعا... وانقشع بذلك بلاء الجفاف والمجاعة... ولكن إيزابل أعلنت عزمها على قتل إيليا انتقاما لـــ"أنبياء البعل" الدجالين، فهرب منها... ثمّ إنّ آخاب أراد شراء بستان مجاور، فرفض صاحبه بيعه، فقامت إيزابل بأمر الوجهاء بقتل صاحب البستان بحجة قول كلمة الكفر بعد إشهاد شاهدي زور، وضمت بعد ذلك بستانه لقصر آخاب... فقضى الله تعالى بعد ذلك على آخاب فقُتل في معركة مع الأراميين.. وتأخرت النقمة من ايزابل رأس الشرّ زمنا حتى ألقاها فتيانها طعاما للكلاب طاعة للقائد ياهو الذي تمرد على يهورام ابنها الذي سترد الإشارة إليه لاحقا... قال تعالى عن قتلة الأنبياء والمصلحين :" **إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم، أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين**"..

قال تعالى عن رسالة إيليا (إلياس) ومقاومته لعبادة البعل: " **وإنّ إلياس**

لمن المرسلين، إذ قال لقومه ألا تتقون، أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين، الله ربكم ورب آبائكم الأولين، فكذبوه فإنهم لمحضرون، إلا عباد الله المخلصين، وباركنا عليه في الآخرين، سلام على إل ياسين، إنا كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين" الصافات ١٢٣- ١٣٢

وكان قد حكم بعد آخاب ابنه أخزيا (٨٥٣- ٨٥٢ ق.م) فكان كوالديه من المرتدين... ثم حكم يهورام (٨٥٢- ٨٤١ ق.م) أخو أخزيا... ومضى يهورام شريرا مثل من قبله، وإن كان قد أزال تمثال بعل الذي نصبه أبوه آخاب وأظهر طاعة واستعانة بالأنبياء في كثير من المواقف.. ورفع الله عزوجلّ إيليا حياً إلى السماء في هذه الفترة كما يذكر كتاب الملوك الثاني (٢: ١٠- ١١) بعد فشل عدد من محاولات قتله رغم ما أُويّد به من معجزات كثيرة منها احياء ميت وتصديق نبوءاته والنار الملتهمة للقرابين وفلق ماء النهر ليسير على يابسته وقتل خصومه بنار من السماء وغيرها، واستخلف للدعوة من بعده تلميذه أليسَع نبيا مؤيدا كذلك بالمعجزات... فمن معجزات أليسع أو أليشع التي فصّل ذكرها سفر الملوك معجزات مباركة الطعام القليل ليكفي الأعداد الكبيرة من الناس، وتحلية المياه الرديئة، وصدق نبوؤاته عن نتائج المعارك ومستقبل عدد من الأفراد، وإنجاب الشيخة العاقر، وإحياء ولدها بإذن الله لما مات فيما بعد، وإشفاء الأبرص بإذن الله، وإبراء الطعام من السم، وإصابة الجند الذين جاؤوا للقبض عليه بالعمى... وغيرها كثير... وقد حاول يهورام قتل أليسع سخطاً (على الله عزوجلّ !) لمّا أصيبت السامرة بمجاعة شديدة أثناء حصار الآراميين لها، واضطر معه البعض من سكانها لسلق أطفالهم وأكلهم، وقد كان ذلك عقابا وابتلاءً من الله عزوجلّ لو كانوا يفقهون!.. وذلك رغم كل هذه المعجزات التي جرت على يدي أليسع ومن قبله إلياس عليهما السلام، ورغم دور أليسع الكبير في توجيه يهورام ونصحه

وإنقاذه .

واختار أليشع بأمر الله – كما يذكر سفر الملوك– ياهو (٨٤١– ٨١٤ ق.م) أحد قواد يهورام ليكون ملكا على إسرائيل، فأيده بقية القادة، فقضى ياهو على يهورام وعلى أمه إيزابل كما أشرت من قبل، وأباد كل أبناء آخاب حتى لم يُبق من نسله أحد، تماما كما فعل القائد بعشا مع أبناء سيده يربعام، وكما فعل القائد زمري مع أبناء سيده بعشا، واحتال ياهو فجمع كل عبدة بعل للاحتفال في معبد بعل، فأبادهم جميعا ولم يبق أحدا .. وأزال تمثال بعل وجعل معبده مزبلة... لكنه لم يحكم بالشريعة، ولم يحد عن خطايا من قبله.. وانكمشت أراضي إسرائيل في زمنه .

ثمّ خلف ياهو بعد موته ابنه يهوأحاز (٨١٤– ٧٩٨ ق.م) الذي كان شريرا، فسلط الله عليه ملك أرام، ثمّ جاء بعده يهوآش (٧٩٨– ٧٩٣ ق.م) ابنه فكان كذلك شريراً إلا أنه تغلب على خصومه من الآراميين ومملكة يهوذا، فخلفه ابنه يربعام (٧٩٣– ٧٥٣ ق.م) فحكم لإحدى وأربعين سنة، وكان كذلك شريرا، لكنه ضم إلى إسرائيل أراضي حماة ودمشق، ثم خلفه ابنه زكريا (٧٥٣ – ٧٥٢ ق م) وكان كذلك شريرا، وقتله بعد ستة أشهر شلوم ابن يلبيش، وقتل شلوم بعد شهر من حكمه على يد مناحيم بن جادي (٧٥٢– ٧٤٢ ق.م)، فحكم لعشر سنين وكان شريرا، واسترضى مناحيم هذا فول ملك آشور بألف وزنة (أي ثلاثة آلاف وستمائة كيلوجرام) من الفضة، ثم مات مناحيم فخلفه فقحيا (٧٤٢– ٧٤٠ ق.م) لسنتين ولم يكن صالحا فقتله فقح بن رمليا (٧٤٠– ٧٣٢ ق م) أحد قواده، ولكنه كذلك كان شريرا، وخسر مدنا كثيرة لصالح الآشوريين، ثم قتله هوشع بن أيلة (٧٣٢– ٧٢٢ ق.م)، ولم يكن كذلك صالحا، وزحف عليه شلمنأسر ملك أشور عام ٧٢٧ ق م، فخضع هوشع له ودفع له الجزية، ثم خانه (عدم توفيق من الله لهؤلاء الحكام المفسدين حتى

تتم عليهم العقوبة الربانية، وسنرى مثل هذا لاحقا)، فعاد شلمنأسر لحصار السامرة، ولكنه مات ففك الحصار، وجاء سرجون الثاني ملكا على آشور، فقام باجتياح إسرائيل وتدميرها (الملوك الأول ١٤: ٢٢- ٢٤)، وسبى الآشوريون الإسرائيليين إلى أشور، " **ونقلوا أقواما من بابل وكوث وعوّا وحماة وسفراويم فأسكنوهم مدن السامرة محل بني إسرائيل**".. وبذلك انتهت مملكة إسرائيل إلى الأبد وضاع معها عشرة أسباط من أسباط بني إسرائيل الاثناعشر لا يعلم مصيرهم حتى الآن.. وأما القوم الوثنيون الذين سكنوا إسرائيل فقد خلطوا عباداتهم الوثنية مع شيء من اليهودية علمهم إياها بعض الإسرائيليين الذين أطلقهم الآشوريون لهذا الغرض.

وتعليقاً على هذا الاستئصال الرباني (بلا شكّ) لعشرة أسباط من بني إسرائيل جاء في سفر الملوك الثاني، إصحاح ١٧ : " وقد حلت هذه النكبة ببني إسرائيل لأنهم أثموا في حق الربّ إلههم الذي أخرجهم من ديار مصر من تحت نير فرعون، وعبدوا آلهة أخرى، سالكين حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمامهم (أي متبعين لشرائع الأمم التي هزمها الله لهم)، وارتكب بنو إسرائيل في الخفاء معاصي في حق الرب إلههم.. وأقاموا لأنفسهم أنصابا وتماثيل لعشتاروت على كل مرتفع، وتحت كل شجرة خضراء، وقدموا محرقات كسائر الأمم.. واقترفوا الموبقات لإغاظة الرب عابدين الأصنام التي حذرهم ونهاهم الرب عنها، وقد أنذر الرب إسرائيل ويهوذا عن طريق أنبيائه ورائييه (جمع رائي) قائلا : " ارجعوا عن طرقكم الآثمة، وأطيعوا وصاياي وفرائضي بمقتضى كل الشريعة التي أوصيت آباءكم بتطبيقها، والتي أعلنتها لكم على لسان سبيدي الأنبياء". لكنهم أصموا أذانهم وأغلظوا قلوبهم كآبائهم الذين لم يثقوا بالرب، وتنكروا لفرائضه وعهده الذي أبرمه مع آبائهم، وتجاهلوا تحذيراته ونواهيه لهم، وضلّوا وراء أصنام باطلة،

فأصبحوا هم أنفسهم باطلين، وتمثّـلوا بالأمم الذين حولهم مع أنّ الرب أمرهم ألا يفعلوا مثلهم... ونبذوا جميع وصايا الرب إلههم.."

التعليق على تاريخ مملكة إسرائيل:

لايكاد المرء يستطيع حصر العبر من تاريخ مملكة إسرائيل أعلاه... فعقاب الله لم يتأخر عن القوم الظالمين، وعن قتلة الأنبياء والصالحين كما أشرتُ من قبل، وإن كان هؤلاء قد أُمهِـلوا، وأُسبق العذاب بقدر هائل من التذكير والتحذير على ألسنة الأنبياء والصالحين، وعجزت المعجزات الساطعة أن تُثـبِّت إيمان بني إسرائيل، بما فيها معجزة القربان الذي تأكله النار (وقد تكررت عليهم مرارا)، وهي المعجزة التي زعموا فيما بعد أنهم أمروا باشتراطها للإيمان بالمرسلين، وذلك من كذبهم فإنّ كل المرسلين الذين جاؤوا من بعد إلياس وأليسع لم يأتوا بهذه المعجزة، وقد آمن بهم الكثير منهم، ثمّ إن الذين جاءوا بها قتلوهم أو سعوا لقتلهم! جاء في مخطوطات البحر الميت في عدد من الرقع منه الرقعة 4Q376, col.1&2 وغيرها حديثا عن اختبار النبي الصادق بتقديم قربان تأكله النار(٣)، قال تعالى يحاجج هؤلاء الذين اتخذوا هذا عذرا لأنفسهم فلم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، قال عز وجلّ " **الذين قالوا إنّ الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين**" آل عمران ١٨٣ .

ونفهم هاهنا كذلك عدم انفراد عيسى عليه السلام بإحياء الموتى بإذن الله تعالى فقد شاركه في هذه المعجزة إلياس وأليسع كما تروي كتب الأنبياء، ولا انفرد برفعه حيا إلى السماء إنقاذا له من القتل كما نفهم من الكتاب المقدس، فقد تمّ مثل ذلك لإدريس وإيليا عليهما السلام، كما نلاحظ من دراسة تاريخ هذه

المملكة مرة أخرى سرعة كفر بني إسرائيل، ونكثهم لميثاقهم مع الله عزوجل، وسهولة ردتهم إلى عبادة الأوثان بمجرد رغبة الحاكم وهواه، وخلط كثير منهم في آن واحد بين عبادة الله وعبادة الأوثان، بل إنّ كتب الأنبياء أخذت على كثير من ملوكهم الصالحين عدم تطهيرهم للبلاد تماما من الأوثان، وتساهلهم مع تلك التي بالمرتفعات، وأشارت الكتب إلى هذا النقص في عملهم وأنه لا يقبل من الناس إلا التوحيد الخالص.

ونلاحظ شدة إعجاب اليهود بالأمم الوثنية من حولهم، واقتباسهم المتكرر لعاداتها بل ولعباداتها، مع أن الله قد حرّم عليهم تقليد الكفار من حولهم كما صرح بذلك كتابهم المقدس... الأعجب من ذلك هو تبني الإسرائيليين لأوثان بعض الأمم التي هزموها.. وهو ما يذكرنا بآبائهم لما خرجوا من مصر منتصرين، فرأوا قوما يعبدون أوثانا فطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة مماثلة.. وفي هذا يقول الله تعالى : " **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين..**" الأعراف ١٣٨- ١٤٠، فمن الواضح أن سلوك الجيل الأول في مسارعته للوثنية وعبادة العجل وعدم تقدير الأنبياء بل والإساءة إليهم، إنّ هذا السلوك قد استمر بكل حذافيره في أجيالهم التالية، حتى استحقوا عقاب الاستئصال الذي حلّ بهم في مملكة إسرائيل، ثم عقاب الطرد والتشريد الذي حل بيهوذا ثمّ ببقيتهم على أيدي الرومان كما سنستعرض فيما بعد .

وأما تاريخ ملوكهم واستعانتهم بالكفار على بعضهم، وتقاتلهم على الحكم فمن المؤسف أن مثل ذلك كله قد تكرر في التاريخ الإسلامي.. ويبقى من مزايا الأمة الإسلامية أنّ شعوبها حافظت على التمسك بدينها، وإقامة شريعة

ربها.. باستثناء القرون المعاصرة، ولم يظهر بالأمة الإسلامية الكفر البواح إلا فيما ندر... عكس تاريخ بني إسرائيل.. ومع هذا فسنة الله لا تتبدل، والأمة تعاني من الإذلال ما هو معلوم عقوبةً لها من الله على هجرها أو هجر الكثير من أبنائها وحكامها للشريعة والدين... وكما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّ الله لن يرفع هذا الذل حتى تراجع هذه الأمة دينها .

يلاحظ أنّه تم نفي نسل العشرة أسباط من بني إسرائيل إلى آشور، وضياعهم بعد ذلك بشكل نهائي، وأنّه لم يبق بذلك من أحفاد أسباط بني إسرائيل الاثناعشر سوى سبطي يهوذا وبنيامين، وهما السبطان اللذان تشكّل منهم يهودُ المملكة الجنوبية، إلا أنّ أعداداً بسيطة من أحفاد العشرة أسباط قد تكون ربما بقيت بفلسطين، وشكلت مع الشعوب المهاجرة الجديدة ما عرف بعد ذلك بالسامريين.. جاء بالملوك الثاني إصحاح ١٧: ١٨ : " فغضب الرب جداً على إسرائيل، ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده، ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الربّ إلههم بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم.." ... هذا ولازال اختفاء أسباط بني إسرائيل العشرة لغــزا مستعصيا لدى المؤرخين على التفسير.. وقد وُضعت بعض النظريات ، لكنها ظلت عاجزة عن تفسير سرّ الاختفاء السريع للعشرة أسباط الكبيرة من بني إسرائيل.. ونعلم كمسلمين أن أقواما منهم اختفت لأنّ الله عزوجلّ قد مسخها خلقاً آخر.. جاء في مسند أحمد رحمه الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : " **أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضب، فقال : اقلبوه لظهره فقلب لظهره ثم قال : اقلبوه لبطنه فقلب لبطنه، فقال : تاه سبط ممّن غضب الله عليهم من بني إسرائيل ، فإن يك فهو هذا، فإن يك فهو هذا، فإن يك فهو هذا**".

ويلاحظ القارئ كيف سلط الله الأقوام الوثنية وأيدها بالسلطان والقوة على